

بسم الله الرحمن الرحيم
ونريد أن نمن على الذين
استضعفوا في الأرض ونجعلهم
أئمة ونجعلهم الوارثين
صدق الله العظيم
سلسلة حياة
الرسول وأهل بيته (ع)
من المهد إلى اللحد
الإمام
علي الرضا (ع)
دار المحجة البيضاء
إعداد مؤسسة البيان
للطباعة والإخراج الفني

لم يُخيِّبْ الإمامُ موسى الكاظمُ (ع) أُمنيةِ أُمّهُ الغاليةُ (حميدة)، بالزواجِ من جاريتِها (تكتم). فهي مِنْ أفضلِ جواريها وأكثرُهُنَّ تبجيلاً واحتراماً لها. وهي أيضاً مِنْ أفضلِ النّساءِ عقلاً وديناً وحياءً.

وعندما تحدّثَتْ مع ابنِها قالَتْ لَهُ:

ـ «يا بُنَيّ، إنّ (تكتم) من أفضلِ النّساءِ، وأرجو أن يَهبَها اللهُ الذريةَ الطيبةَ».

لم يتردّد الإمامُ (ع) بالموافقةِ، وهو يعرفُ حرصَ أمّهِ على اختيارِ المرأةِ المناسبةِ والصالحةِ والتي ستكونُ زوجتَهُ.

فَرِحَتْ أمّهُ وأخبرَتْ زوجَها الإمامُ موسى الكاظم (ع) فقالَ لها مستبشراً:

ـ «حسناً ما فعلْتِ، فسيكونُ لَهُ مِنْ هذهِ الجاريةِ، خيرُ أهلِ الأرضِ».



ShiaKids.Net

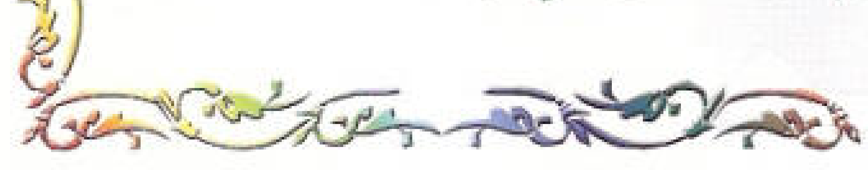
تزوّجَ الإمامُ الكاظمُ(ع) من (تكتم) ولم تمضِ الشهورُ حتى وضعَتْ وليدَها (علي) في ١١ ربيع الأول عام ١٤٧هـ. فعمَّ السرورُ آلَ البيتِ الشريفِ وكُلَّ الطالبيين. وكانَ أسعدَ النّاسِ برؤيةِ الطّفلِ، جدّهُ الإمامُ الذي طالما دعا ربّهُ أن يمدَّ بعمرِهِ، لرؤيةِ حفيدِهِ عليّ. وتوفيَ بعد عامٍ من ولادتِهِ وقد تحقّقَتْ أمنيتُهُ.

وتقلّدَ ابنُهُ موسى الكاظم(ع) الإمامةَ، وواصلَ مسيرةَ آبائِهِ المجيدةِ، وأصبحَ زعيماً تكادُ تفوقُ منزلتُهُ حكامَ عصرِهِ، فجاءَتْهُ النّاسُ، وحُملَتْ لهُ الأموالُ منْ بقاعِ الأرضِ، فأثارَ ذلكَ مخاوفَ بني العباسِ، وشدّدوا بالتضييقِ عليهِ.

كانَ عليُّ الرضا(ع)، يلازمَ أباهُ كظلِّهِ، وحرصَ أباهُ على إعطاءِ ابنِهِ العنايةَ اللازمةَ على الرُّغمِ من كثرةِ أبنائِهِ، وإعدادِهِ لتولِّي مهامَ الإمامةِ من بعدِهِ.

وكان يرى بعينيهِ الجُهْدَ الهائلَ الذي يَبْذلُهُ أبوهُ في سبيلِ نشرِ علومِ آلِ البيتِ، كما ويرى ما يلاقيهِ من جورِ الحكامِ. ومرّتْ الأعوامُ، وعليٌّ(ع) يحضرُ مجلسَ أبيهِ ولقاءاتِهِ مع أتباعِهِ وتلامذتِهِ، ويوجّهَ هؤلاءِ إلى ابنِهِ ويحثُّ النّاسَ للرجوعِ إليهِ وهو يقولُ لهم:

ـ «اسألوا عالمَ آلِ محمدٍ(ص) عليَّ الرضا».

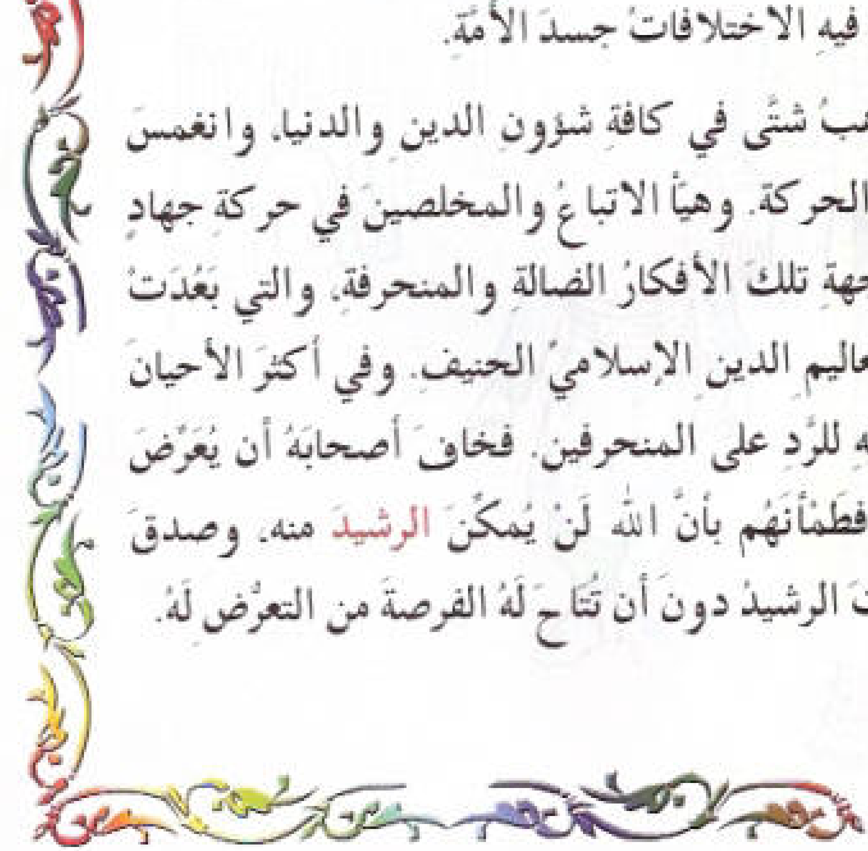


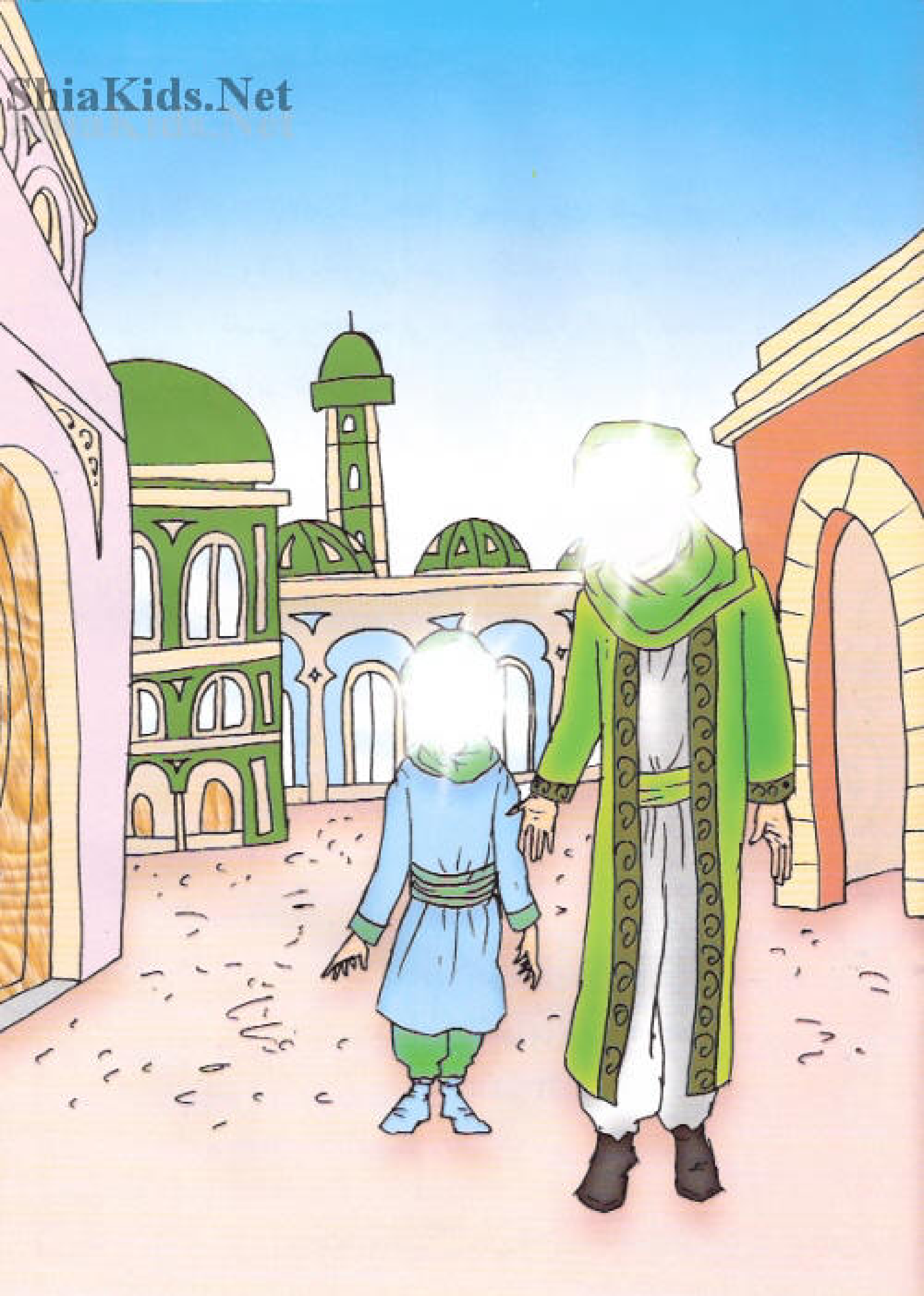

ShiaKids.Net

عاشَ عليُّ الرضا(ع) محنةَ أبيه مع حكامِ عصره، وعذاباتِ السجونِ الكثيرةِ التي مرَّتْ عليه. وكانَ خلالَ فترةِ غيابه الطويلة في سجونِ الرشيدِ يقومُ بمهامِ أبيه باقتدارٍ. فقد أحاطَ بعلومِ أهلِ البيتِ الموروثةِ وأصبحَ النّاسُ يتحدّثونَ عن عالِمِ آلِ البيتِ العظيمِ عليِّ الرضا(ع).

بعدَ وفاةِ والدهِ تولّى عليُّ الرضا(ع) مهامَ الإمامةِ. عاشَ فترةً من عصرِ الرشيدِ، وكذلكَ عصرِ المأمونِ العصيبِ. كانَ عهدُ الإمامِ عصراً ضاجاً بالحركاتِ الفكريةِ والسياسيةِ وكانَ عصرُ الفقهِ والجدلِ مزّقتْ فيه الاختلافاتُ جسدَ الأمّةِ.

فذهبت مذاهبُ شتّى في كافةِ شؤونِ الدينِ والدنيا، وانغمسَ الإمامُ في تلكَ الحركةِ. وهيأَ الاتباعَ والمخلصينَ في حركةِ جهادٍ عظيمةٍ في مواجهةِ تلكَ الأفكارُ الضالةِ والمنحرفةِ، والتي بَعُدَتْ كُلَّ البُعدِ عن تعاليمِ الدينِ الإسلاميِّ الحنيفِ. وفي أكثرِ الأحيانِ كانَ ينزلُ بنفسهِ للرّدِ على المنحرفينَ. فخافَ أصحابَهُ أن يُعرِّضَ نفسَهُ للأذى، فطمأنهم بأنَّ اللهَ لَنْ يُمكِّنَ الرشيدَ منه، وصدقَ الإمامُ(ع) فماتَ الرشيدُ دونَ أن تُتاحَ لَهُ الفرصةُ من التعرُّضِ لَهُ.



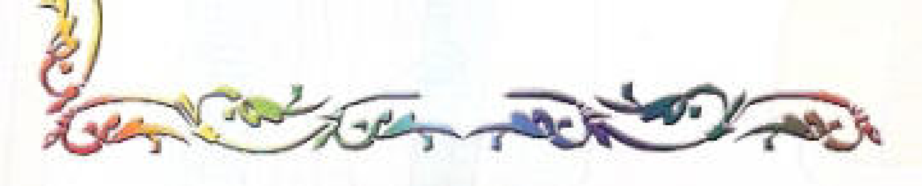


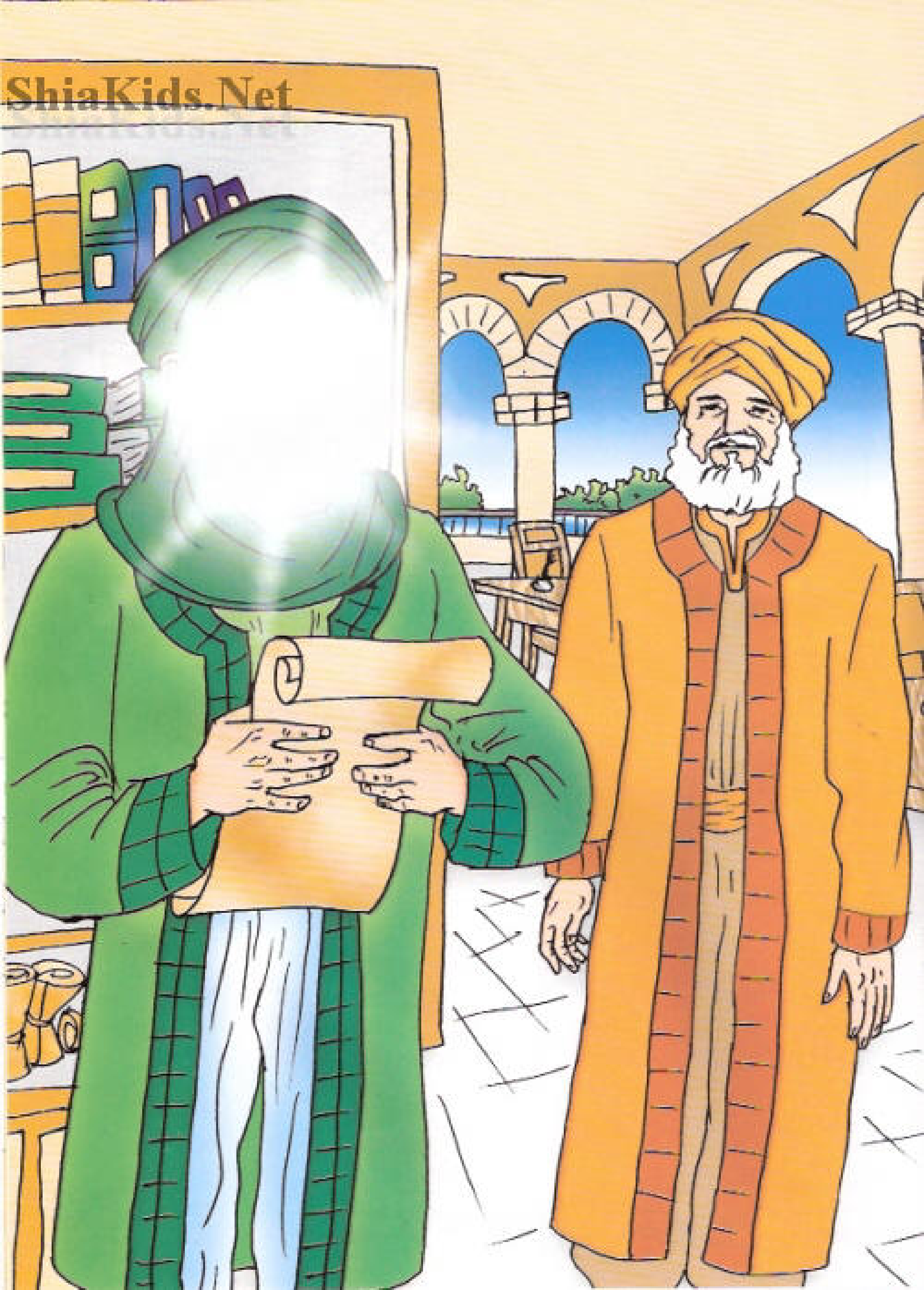
ShiaKids.Net

تولّى الأمينُ الحُكْمَ خلفاً لأبيه، وكانَ فاسقاً مولعاً بالغناءِ والشرابِ، ولا يردعهُ شيءٌ عن ارتكابِ الرذائلِ. فأهملَ شؤون الدولةِ وأنغمسَ وحاشيتهُ في مستنقعِ الرذيلةِ والانحلالِ. وزادَ من مساوئهِ أنْ عزلَ أخيهِ المأمون من ولايةِ العهدِ فقامَ المأمونُ على الفورِ بدعوةِ النّاسِ إلى مبايعتهِ وخلعَ أخيهِ الأمينِ. وحتّى يضمنَ دعمَ وتأييدَ النّاسِ لهُ، أرسلَ وفداً يدعو الإمامُ عليّ الرضا(ع) لمغادرةِ المدينةِ والذهابِ إلى خراسان. حاولَ الإمامُ أن يمتنع عن قبولِ الدعوةِ لكنَّ الأخطارَ المحيطةَ بهِ، والتهديدَ الذي مارسَهُ الوفدَ من احتمالِ تعرّضِ الإمامِ للقتلِ إن بقيَ في المدينةِ، دفعاهُ إلى قبولِ الدعوةِ.

وبعدَ أن ودَّعَ أهلَهُ وأصحابَهُ، وأوصى أتباعَهُ بإمامةِ ابنهِ محمدٌ الجواد(ع) وكانَ لا يزالُ طفلاً، من بَعْدِهِ، غادرَ الإمامُ إلى خراسان.

أحاطَ تحركاتَه بسريةٍ محاذراً جواسيسَ الأمين، وعندَ وصوله خراسان، كانت المدينةُ في أبهى حُلَلها وزينتها. فقد خرجَ المأمونُ ورجالُ الدولةِ والأشرافُ وعامةُ النّاس لاستقبالِ الإمامِ العظيمِ.




ShiaKids.Net

عند وصوله فاتحهُ المأمونُ بأمرِه، والسببُ منْ استدعائه. فادّعى أنّهُ نظرَ في أمرِ الخلافةِ فرأى أنّ الإمامَ عليّ الرضا(ع) أحقُّ منهُ في الحكمِ. رفضَ الإمامُ عرضَ المأمونِ، ظلّ يرفضُ ويمانعُ لمدةِ شهرينِ. فقد كانَ يُدركُ مقصدَ المأمونِ من ذلكَ. وبعدَ إصرارِ المأمونِ المتواصلِ، شعرَ الإمامُ بأنّ لا سبيلَ لهُ من الخلاصِ خاصةً وأنّ عرضَ المأمونِ قد تحوّلَ إلى الضغطِ والتهديدِ.

وذاتَ مرّةٍ قالَ لهُ:

ـ «إذا كُنتَ ترفضُ الخلافةَ، فكُنْ ولياً للعهدِ وإنّ وجودكَ معي، سيُساعدُ في انتشارِ العدلِ وإنصافِ الرعيّةِ».

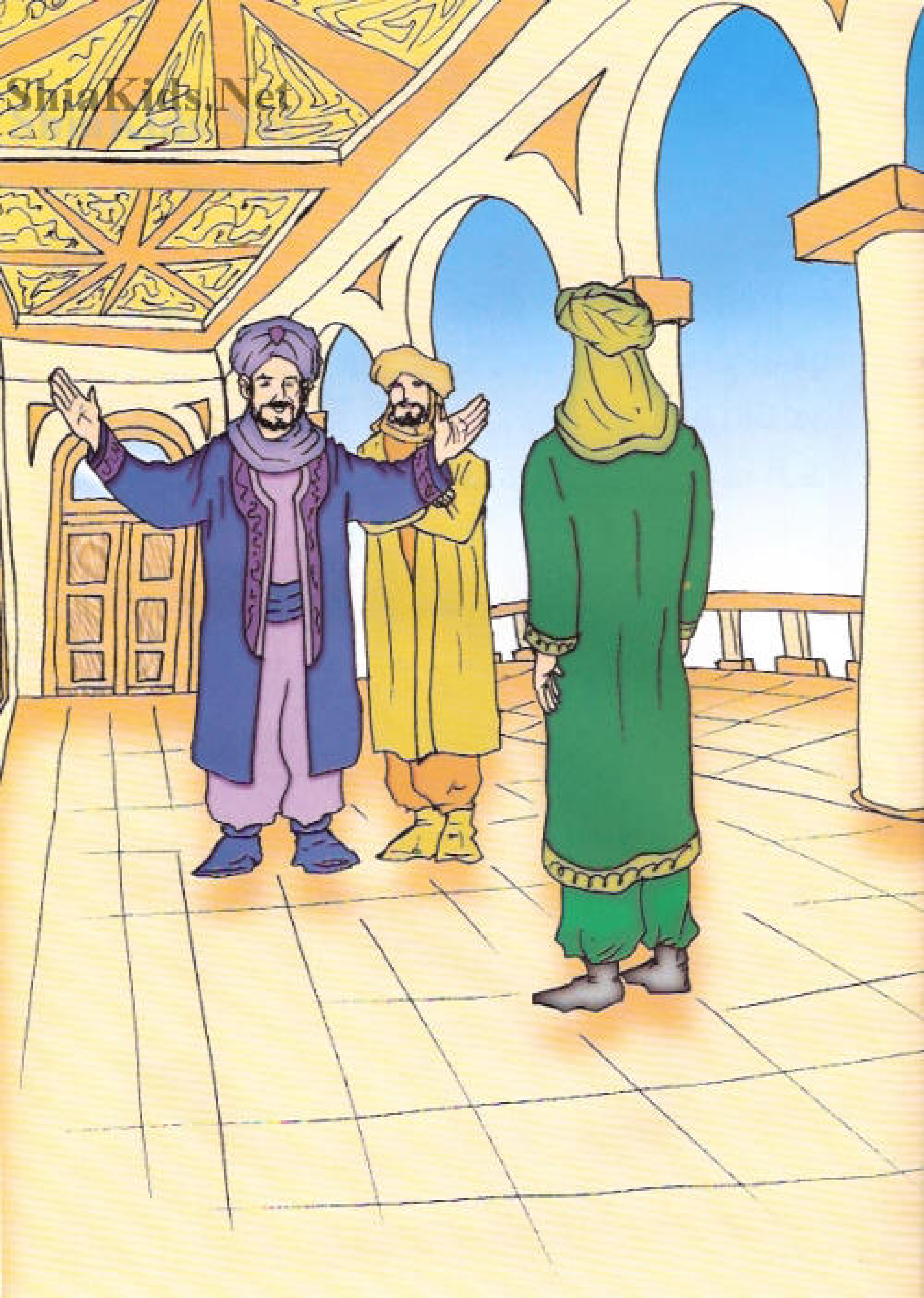
فكّرَ الإمامُ طويلاً، وأدركَ أن المأمونَ عزمَ على أخذِ موافقةِ الإمامِ بأيّ ثمنٍ، وقالَ:

ـ «أقبلُ ولكنْ لي شروط».

ـ «وما هي؟».

أجابَ الإمامُ:

ـ «أنْ لا آمُرَ ولا أنهي ولا أعزِلَ ولا أنصّبَ أحداً في مناصبِ الدولةِ».



قَبلَ المأمونُ وفي الحالِ أمرَ بأنْ تُقامَ الاحتفالاتُ بمناسبةِ تنصيبِ الإمامِ ولياً للعهدِ.

عاشتْ خراسان أسعدَ أيامِها، وعمّتِ الأفراحُ جميعَ أنحائِها لذلكَ الحدثِ، ولكن زوارُ الإمامِ والمهنئين لهُ، لاحظوا بأنّهُ كان مهموماً ومغموماً، فعرفوا بأنّه لم يفرحَ لذلكَ، وأنّهُ ربما أضطرَّ لقبولِ ذلكَ المنصبِ.

وكان مجلسُ المأمونُ يحفلُ بالعلماءِ، وأصحابِ الآراءِ، فوجدَ الإمامُ عليّ الرضا(ع) الفرصَةَ مناسبةً للرّدِ على ما شاعَ في ذلكَ العصرِ من فتنٍ وأفكارٍ غريبةٍ. وشهدَ ذلكَ المجلسُ براعةَ وغزارةَ علمِ الإمامِ، وإسكاتِهِ لأصحابِ هذهِ الآراءِ الذين لم يستطيعوا إلاّ الاعترافَ بعظمةِ الإمامِ وإحاطتِهِ بجميعِ العلومِ.

أثارَ تنصيبُ الإمامِ ولياً للعهدِ، غضبَ العباسيين واستيائِهم الشديدِ منَ المأمونِ، وشعروا بأنَّ الحكمَ يوشكُ أن يَخرُجَ من أيديهِم ويذهبُ إلى العلويين، فبدءوا يُحيكونَ المُؤامرات والدسائسَ للإيقاعِ بين المأمونِ والرضا(ع).





لكنّ هذه المؤامرات لم تجدْ أذناً صاغيةً لدى المأمون. فقد كان يعلمُ بأنّهُ ليسَ للإمام أيُّ مطمعٍ في السلطةِ وأنّهُ غيرُ جادٍ بإعطاءِ الحُكْمَ للعلويين. كانَ قدْ عزمَ على قتل الإمام لأسبابٍ أخرى. فالحكمُ قد استقامَ لهُ وفرضَ سلطانَهُ وتمَّ لهُ معاقبةَ بني العباس لموقفِهم المؤيّدِ للأمين عندما خلعهُ من ولايةِ العهدِ. وكانت الثوراتُ العلويةُ قد هدأتْ قليلاً، فوجدَ أنَّ الوقتَ قد حان للتخلُّصِ من الإمام. وأشرفَ هو بنفسه على عملية دسّ السُمّ إليه في حباتِ الرُّمانِ، ولم تمضِ ساعاتٌ حتّى شعرَ الإمامُ بسريانِ السُم في جسدِهِ، وأخذتْ أحشائه تتقطّعُ. جاءت زوجتُهُ وصاحتْ على الآخرينَ بأن ينقذوا الإمام.

جاءَ الأطباءُ لمعاينتهِ، لكنّهم وجدوا أنَّ لا سبيلَ إلى إنقاذ الإمام(ع) وأنّهُ ميّتٌ لا محالة.

وفي عام ٢٠٣ هـ فارقَ الإمامُ عليّ الرضا(ع) الحياةَ، وسطَ بكاءِ وعويلِ محبّيه، ولم يكُنْ أحدٌ من أهله بجوارِهِ. ماتَ غريباً ودُفنَ في طوس البعيدةُ عن أرض أجدادِهِ.

فسلامٌ عليه يومَ ولدَ ويومَ تغرّبَ ويومَ ماتَ ويومَ يُبعثُ حيّاً.

